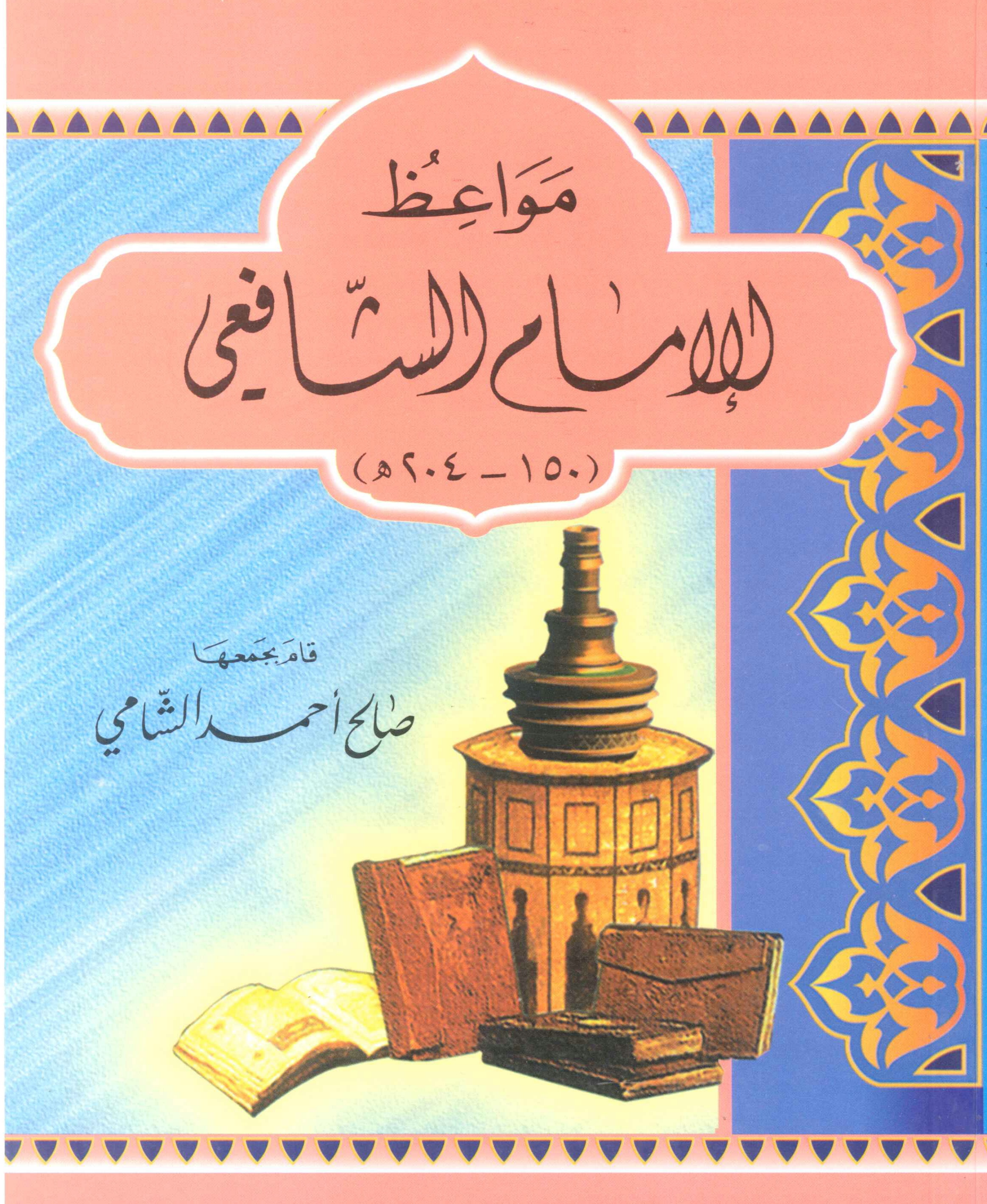
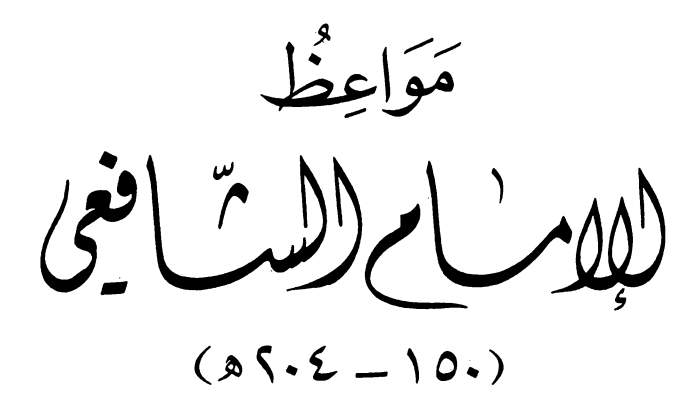


المكتب الإسلامي

معالم في التربية والدعوة



(١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

قد يستغرب القارئ الكريم أن يكون الإمام الشافعي واحداً من أعلام سلسلة «معالم في التربية والدعوة» والتي موضوعها المواعظ والنصائح.

وقد عرف الشافعي إماماً لمذهب فقهي، فعندما يذكر تتبادر إلى الذهن الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات.. وتأصيل المسائل، وتدوين الأصول.. الأمر الذي شغل وقت الإمام بكامله.. ومع ذلك فهو الواعظ البليغ.

وقد كان للشعر دور في حياته، وشعره يغطي مساحة واسعة من نظرته إلى المجتمع، كما يحمل من

الحِكم الشيء الكثير، وكذا فيه من النصائح والتوجيه ما ليس بالقليل.

وكذلك كان للحكمة والموعظة دورها أيضاً، فالحكمة خلاصة تجربة، فهي ترفد الموعظة في مهمتها.. والنصح والتوجيه بعض واجبات العالم، فما بالنا إذا كان إماماً في العلم والفقه.

ويمتاز الإمام الشافعي بأن مواعظه تارة تكون نثراً وتارة أخرى تكون شعراً، ونتمنى لو كان الإمام قد جمع شعره، حتى لا يدخل فيه ما ليس منه، ولكنه لم يفعل، رحمه الله.

هذا وقد جعلت هذه المواعظ قسمين. الثاني منهما ضمنته من أشعاره ما يدخل ضمن موضوع الكتاب. سائلاً الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة له، إنه نعم المسؤول.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٥ شوال ١٤١٨

٢٢ شباط ١٩٩٨

كتبه

صالح أحمد الشامي

الإمام الشافعي

هو محمد بن إدريس الشافعي، يرجع نسبه إلى هاشم بن عبد المطلب، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولد بغزة سنة خمسين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ «الموطأ» وهو ابن عشر.

نشأ - رحمه الله - في حجر أمه، في قلة عيش، وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيده في العظام ونحوها، لعجزه عن الورق.

وتفقه في مكة على مسلم بن خالد الزنجي، ونزل في شعب الخيف منها.

ثم قدم المدينة فلزم الإمام مالكاً رحمه الله، وقرأ عليه «الموطأ» حفظاً، فأعجبه قراءته، وقال له:

اتق الله، فإنه سيكون لك شأن، وكان سن الشافعي حين أتى مالكاً ثلاث عشرة سنة.

ثم رحل إلى اليمن حين تولى عمه القضاء بها، واشتهر بها.

ثم رحل إلى العراق، وجدَّ في الاشتغال بالعلم، وناظر محمد بن الحسن وغيره، ونشر علم الحديث، وأقام مذهب أهله، ونصر السنة، واستخرج الأحكام منها. ورجع كثير من العلماء عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه.

ثم خرج إلى مصر آخر سنة تسع وتسعين ومائة، وصنف كتبه الجديدة، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار.

وقد برع في جميع العلوم.

قال الربيع بن سليمان: كان الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يجلس في حلقته إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا، وجاء أهل الحديث، فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس، قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض

والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف.

وقال محمد بن الحكم: ما رأيت مثل الشافعي، كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث، وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجبون منه، وأصحاب الفقه الموافقون والمخالفون، لا يقومون إلا وهم مذعنون له، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه...

وهو أول من دوّن علم أصول الفقه، فكتب في ذلك «الرسالة».

وكان شاعراً ولكنه لم يهتم لهذا الجانب وقال في ذلك:

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

ومع ذلك فقد ترك شعراً جيداً.

وقد حذق الرمي حتى كان يصيب من كل عشرة تسعة.

وكان ذا عبادة وورع:

قال الربيع المرادي: كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة.

وقال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: ما شبعت منذ ستة عشرة سنة إلا شبعة طرحتها، لأن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

وكان ـ رحمه الله ـ من أسخى الناس بما يجد، وقصص سخائه مشهورة.

ومناقبه جمة، وقد ألفت كتب في مناقبه.

توفي بمصر آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، عن أربع وخمسين سنة.

ومذهب الشافعي أحد المذاهب الأربعة التي انتشرت في العالم الإسلامي وهو أول من دوَّن علم أصول الفقه.

شهادات

أقوال العلماء الأعلام في عالم تعدُّ شهادات. دونها كل الشهادات العلمية. وهي دلالة على مكانة المشهود له، وبخاصة إذا كانت من أصحاب العلم والفضل، ولا يعرف الفضل إلا ذووه.

وأذكر بعض الأقوال التي قيلت في حق الإمام الشافعي، استكمالاً للترجمة السابقة الموجزة.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أيَّ رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف، أو منهما عوض؟

وقال أحمد: كان الشافعي من أفصح الناس.

وقال: ما أحد مسَّ بيده محبرة ولا قلما؛ إلا وللشافعي في رقبته منه، ولولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث، وكان الفقه قفلاً على أهله، حتى فتحه الله بالشافعي.

وقال محمد بن الحسن: إن تكلم أصحاب الحديث يوماً، فبلسان الشافعي.

قال إسحاق بن راهويه: لقيني أحمد بن حنبل بمكة، فقال: تعال أريك رجلاً لم تر عيناك مثله، فأراني الشافعي. قال: فتناظرا في الحديث، فلم أر أعلم منه، ثم تناظرا في الفقه فلم أر أفقه منه، ثم تناظرا في القرآن، فلم أر أقرأ منه، ثم تناظرا في اللغة، فوجدته بيت اللغة، وما رأت عيناي مثله قط.

وقال أبو ثور الكلبي: ما رأيت مثل الشافعي، ولا رأى مثل نفسه.

وقال الحميدي: سيد علماء زمانه الشافعي.

وقال الفضل بن دكين: ما رأينا ولا سمعنا أكمل عقلاً، ولا أحضر فهماً، ولا أجمع علماً من الشافعي.

وقال أبو ثور: من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه، وفصاحته، ومعرفته، وثباته وتمكنه، فقد كذب، كان منقطع القرين في حياته، فلما مضى لسبيله لم يعتض منه.

وقال الإمام أحمد: إن الله يقيض للناس في رأس كل مئة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، قال: فنظرنا، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي.

اكتفي بهذه الشهادات وغيرها كثير..

الإمام الشافعي والمواعظ

عرف الإمام الشافعي فقيهاً، وعرف محدثاً، وعرف أديباً. .

فهل كان واعظاً؟

لم يكن الإمام الشافعي واعظاً بالمعنى التقليدي، وإنما شأنه شأن العلماء في هذه الأمة، يرون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً من واجبات هذا الدين.

فقيامهم بهذا الواجب يشكل أداءهم لمهمة الوعظ والنصيحة للمسلمين.

وقد كان للإمام الشافعي تلاميذ، فكانت إرشاداته لهم تسهم في إثراء هذا الجانب.

وكانت للإمام الشافعي نفس مرهفة، شديدة التأثر بالأحداث فهي نفس شاعر، ولذا كانت الحكمة تنساب على لسانه شعراً ونثراً.

كل هذه الأمور وغيرها ساعدت في أن يكون له دور في هذا الميدان، وإن كان مكانه الأول في ساحة الفقه والاجتهاد في مسائله وأصوله.

ومن استطلاع بعض مواعظه مما أمكن جمعه يمكن الإشارة إلى بعض الجوانب التي كانت تشغل بال الإمام، فكان تأكيده عليها متكرراً.

١ ـ العقيدة:

حذر الإمام الشافعي من علم الكلام، الذي انتشر في زمنه، ورأى فيه ذنباً من أعظم الذنوب فقال:

لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به، خير من النظر في الكلام.

ودحض حجة أصحاب الكلام بأنهم يبحثون عن العقيدة الصحيحة بقوله:

محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله) فما عُصِمَ به الدمُ والمال حقيقةُ التوحيد.

وبهذه الحجة الدامغة والمنطق السليم، والبيان

المستند إلى السنة الصحيحة أبطل الشافعي أصل علم الكلام، ودل على الطريق الصواب، وتجاوز كل المصطلحات التي أتخمت بها بطون الكتب. ولقد كان يتم إسلام الإنسان زمن رسول الله ﷺ بالنطق بالشهادتين. ثم يصبح واحداً من الصحابة..

رحم الله الشافعي فقد كان بيانه شافياً في هذا الأمر.

٢ ـ العلم:

كثيرة هي المواعظ التي قالها الشافعي بشأن العلم، بل لعل معظم مواعظه كانت في هذا الميدان.

ففضيلة العلم لا تَعْدِلُها فضيلة.

وأفضل فروع العلم، هو الاشتغال بالحديث، ويقول في بيان ذلك:

إذا رأيتُ رجلًا من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ، جزاهم الله خيراً، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

والفقه سيد العلم، إذ به يفهم الحديث.

وكتابة العلم أمر مهم، إذ بها تحفظ النصوص،

وتصان من العبث، وهذا ما أشار إليه الشافعي بقوله: لولا المحابر، لخطبت الزنادقة على المنابر.

وغاية العلم العمل به. فالعلم ما نفع، وليس العلم ما حفظ.

وللعلم آداب بعضها مرتبط بالعالم وبعضها مرتبط بالمتعلم.

وفي مقدمة ما يطلب من العالم الذي يعلم الناس: إصلاح نفسه، فإن أعين الناس معقودة به، تنظر إلى عمله أكثر مما تنظر إلى قوله.

وعليه أن يكون مخلصاً في عمله يبتغي الدار الآخرة.

ولا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه.

وإذا كانت هذه بعض آداب العالم، فآداب المتعلم أكثر، وفي مقدمتها أدبه مع معلمه.

ويضرب لنا الإمام الشافعي مثلاً من سلوكه في حضرة إستاذه الإمام مالك رحمه الله فيقول:

كنت أتصفَّح الورق بين يدي مالك برفق، لئلا يسمع وقعها.

ومما يضيع العالم ويذهب بمكانته ألا يكون له إخوان.

بل ويرى الإمام الشافعي أنه ينبغي للفقيه أن يكون معه سفيه يدافع عنه عند الحاجة فيقول:

ينبغي للفقيه أن يكون معه سفيه ليسافه عنه.

وهو حريص على تبليغ العلم ونشره. فقد قال للربيع: لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك.

وقال: وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم، ولا ينسب إليّ منه شيء..

وهكذا فالإمام حريص على نشر العلم، حريص على شخصية العالم، حريص على تأدب المتعلم..

٣ ـ الطب:

وإذا كان حديثنا في الفقرة السابقة عن العلم. فالطب من العلم، فالعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان:

وعلم الأديان هو الفقه.

وعلم الأبدان هو الطب.

وهما جانبان ضروريان لكل إنسان. ولهذا فهو

ينصح أن يسكن الإنسان في بلد فيه عالم وطبيب، فيقول:

لا تسكننَّ بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك.

ويبدي الإمام الشافعي أسفه لترك المسلمين تعلم الطب، وقيام اليهود والنصارى بذلك فيقول:

ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى.

وقال: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب غلبونا عليه.

وهكذا كان الإمام رحمه الله ذا نظرة شاملة، فالإنسان المسلم بحاجة إلى نوعين من العلوم: علوم تبين له أمر دينه، وعلوم أخرى تساعده وتوفر له السعادة في أمر دنياه وفي مقدمتها الطب.

٤ ـ التصوف:

بدأ التصوف يأخذ أبعاده كمذهب سلوكي في زمن الإمام الشافعي. ويبدو أن هذا المذهب لم يقم على العلم ولذا كان قول الشافعي:

«لو أن رجلاً عاقلاً تصوف، لم يأت الظهر حتى يصير أحمق».

ولو كان هذا الرجل يضبط سلوكه على أساس من العلم لم يصر أحمق. وأمر آخر يأخذه الإمام على التصوف حيث يقول:

«أسس التصوف على الكسل».

ذلك أن كثيراً منهم يظن أن الاشتغال بالعبادة يقتضي ترك العمل والبعد عن الدنيا.. فيؤدي به ذلك إلى الكسل.

والولي - في رأي الشافعي - لا يكون ولياً عن طريق التصوف، وإنما عن طريق العلم فيقول:

«إن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله، فلا أعلم لله ولياً».

وخوارق العادات ينبغي أن لا يغتر بها أحد، فليست دليلاً على الولاية، ولا يصح أن تتخذ الخوارق دليلاً على الولاية. بل الدليل هو التزام الكتاب والسنة.

قال الشافعي رحمه الله: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء. ويطير في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

على أن الشافعي وهو يذكر هذه الحقائق لا ينسى أن يذكر ما استفاده منهم، فيقول:

صحبت الصوفية عشر سنين، ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، وأفضل العصمة أن لا تجد.

والأمر الأول: يدل على قيمة الوقت عندهم، والحرص على الاستفادة منه في الخبر.

والأمر الثاني: أن العصمة من الشبهات في المأكل والملبس.. هذه العصمة تتوفر لك إذا لم تجد، أي عند فقدان الأشياء التي تورث لك الشبهات.

٥ ـ ذكر الآخرة:

مواعظ الإمام الشافعي التي تذكر بالآخرة كثيرة. وهي مبثوثة ضمن مواعظه ولعل من أفضلها ما جاء بشأن العصا.

فقد كان يكثر من إمساك العصا والاستعانة بها، وهو ليس بضعيف. فقيل له في ذلك فقال: لأذكر أني مسافر.

أجل كل إنسان مسافر، يقطع طريقه على مراحل

منضبطة، وما الليل والنهار إلا الضوابط لهذه المراحل.

٦ ـ الحالة الاجتماعية:

يرى الإمام الشافعي أن الترابط الاجتماعي بين الناس أصبح ضعيفاً. وإزاء هذا الوضع على الإنسان أن يعايش الواقع ويتكيف معه ما أمكن ذلك.

فليس بالأمر السهل المحافظة على الصديق، ما لم تخفض جناحك وتغضي عن كثير من الأمور. وللشافعي في ذلك درس مطول ألقاه على يونس بن عبد الأعلى.

والإنسان الذي تحتاج إلى مداراته ليس بأخ لك.

وإرضاء الناس أمر لا سبيل إليه، ولذلك فعليك بما ينفعك فالزمه.

وبهذه الوصايا وغيرها يرشد الإمام إلى كيفية التعامل مع الناس.

ولا يبخل الإمام بنصائحه في سبيل تبصير المسلم بكيفية أداء دوره في الحياة الاجتماعية بشكل فاعل ومنتج.. فهو ينصح بصحة النظر في الأمور، والعزم في الرأي، والروية والفكر ومشاورة الحكماء ثم يقول:

فكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تتقدم.

٧ ـ الأخلاق:

ولتهذيب الأخلاق نصيب كبير في مواعظ الإمام الشافعي نثراً وشعراً.

فالعجب داء مهلك، ويصف الإمام العلاج لهذا الداء، فيقول: إذا خفت على عملك العجب، فانظر رضى من تطلب، وفي أي ثواب ترغب، ومن أي عقاب ترهب.. فإذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال، حضر في عينك عملك.

والتواضع أمر مطلوب، وأرفع الناس قدراً من لا يرى قدره. ولكن التواضع إذا كان عند من لا يقدره فهو ظلم للنفس.

وتنزيه الأسماع عن سماع الخنا مطلوب، كما ينزه الإنسان لسانه عن النطق به، والسخاء والكرم يغطيان العيوب.

والصبر خلق كريم، به يتغلب الإنسان على كل العقبات.

والتكبر من أخلاق اللئام.

وهكذا تكثر نصائح الإمام في ميدان الأخلاق، وللمروءة مكانتها، وإن كان أهلها دائماً في جهد، ولكنها خلق له الصدارة وفيها يقول:

لو علمت أن الماء البارد ينقص مروءتي، ما شربته إلا حاراً.

٨ ـ البدع:

البدع مذمومة، وقد حصل ـ فيما يبدو ـ خطأ في فهم حدودها، والشافعي كإمام فقيه، تلفت نظره هذه الانحرافات في الفهم. ولذا فهو يوضح لنا ذلك ببيان لا لبس فيه.

فالمحدثات ـ البدع ـ ضربان:

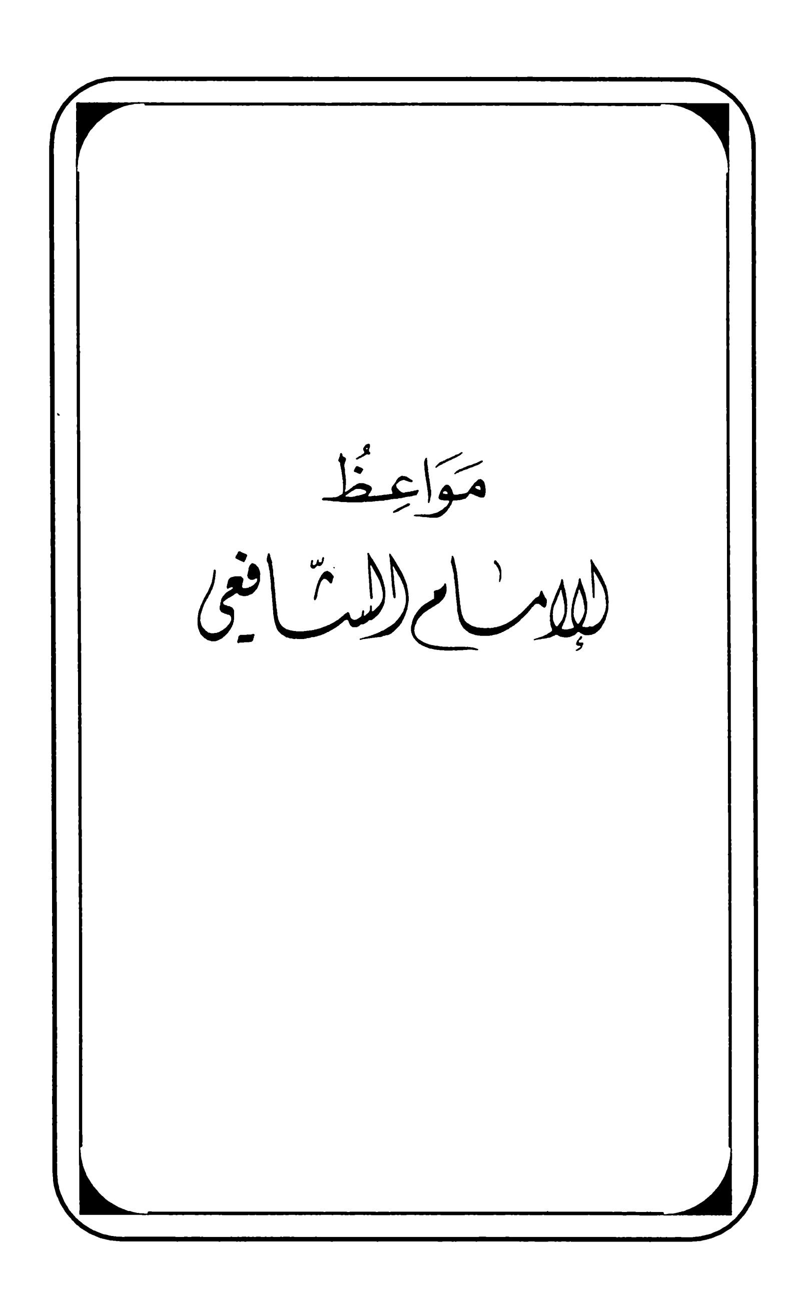
ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة.

وما أحدث من الخير، لا خلاف فيه لواحد من هذه الأصول، فهذه محدثة غير مذمومة. فقد قال عمر في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه.

وبهذا يضع الإمام حدوداً تميز البدعة عما

سواها. فهي ما جاء مخالفاً لواحد من الأصول التي إليها المرجع في الفقه والتشريع، فإذا لم يكن الأمر كذلك وكان من الخير فليس ببدعة.

نكتفي بذكر هذه الجوانب، وغيرها كثير مما سيراه القارئ الكريم في مواعظه.



مَوَاعِظُ الإمام الشّافعي

فضيلة العلم

قال الشافعي رحمه الله:

كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه.

وكفى بالجهل شيناً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه[١].

أشد الأعمال

قال الشافعي رحمه الله:

أشدُّ الأعمال ثلاثة:

ـ الجودُ من قلة.

ـ والورعُ في خلوة.

ـ وكلمةُ الحق عند من يرجى ويخاف[٢].

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٤٦.

(٢) صفة الصفوة ٢/١٦٧.

ما أفلح سمين

قال الشافعي رحمه الله:

ما أفلح سمين قط، إلا أن يكون محمد بن الحسن.

قيل له: ولِمَ؟

قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين: إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فيعقد الشحم[1].

طلب الرياسة

قال الشافعي رحمه الله:

من طلب الرياسة فرَّت منه، وإذا تصدرالحدَثُ فاته علم كثير[2].

ضعف الإنسان

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٤٦.

(٢) صفة الصفوة ٢/١٦٧.

أبينُ ما في الإنسان ضعفه، فمن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة مع الله تعالى[1].

علاج العجب

قال الشافعي رحمه الله:

إذا أنت خفت على عملك العجب، فانظر: رضا من تطلب، وفي أي ثواب ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عافية تشكر، وأي بلاء تذكر. فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال، صغر في عينك عملك[2].

وصف الدنيا

قال الشافعي رحمه الله:

إن الدنيا دحض[3] مزلة، ودار مذلَّة، عمرانها إلى خراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار.

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٤٣.

(٢) إحياء علوم الدين، طبعة دار الخير ١/ ٣٧.

(٣) دحض: يقال: دحضت رجله: زلقت.

فافزع إلى الله، وارض برزق الله، لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك، فإن عيشك فيء زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، وأقصر من أملك[1].

عواقب الأمور

قال الشافعي رحمه الله:

صحة النظر في الأمور، نجاة من الغرور.

والعزم في الرأي، سلامة من التفريط والندم.

والروية والفكر، يكشفان عن الحزم والفطنة.

ومشاورة الحكماء، ثبات في النفس، وقوة في البصيرة.

ففكر قبل أن تعزم.

وتدبر قبل أن تهجم.

وشاور قبل أن تقدم[2].

فضل أصحاب الحديث

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) المرجع السابق ٣/ ٣٧٦.

(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٦.

إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، جزاهم الله خيراً، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل[1].

وقال:

عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر الناس صواباً[2].

كتابة العلم

قال الشافعي رحمه الله:

لولا المحابر، لخطبت الزنادقة على المنابر[3].

اللبيب

قال الشافعي رحمه الله:

اللبيب العاقل، هو الفطن المتغافل[4].

الخير في خمسة

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٠.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣.

الخير في خمسة:

غنى النفس.

وكف الأذى.

وكسب الحلال.

والتقوى.

والثقة بالله[1].

إمساك العصا

قيل للشافعي رحمه الله: ما لك تكثر من إمساك العصا، ولست بضعيف؟

قال: لأذكر أني مسافر[2].

مؤهلات الرياسة

قال الشافعي رحمه الله:

آلات الرياسة خمس:

صدق اللهجة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٧.

(٢) سيز أعلام النبلاء ١٠/ ٩٧.

وكتمان السر.

والوفاء بالعهد.

وابتداء النصيحة.

وأداء الأمانة(١).

اغتربوا

قال الشافعي رحمه الله:

أيما أهل بيت لم يخرج نساؤهم إلى رجال غيرهم(٢)، ورجالهم إلى نساء غيرهم؛ إلا وكان في أولادهم حُمْقٌ(٣).

علم الطب

قال الشافعي رحمه الله:

لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب؛ إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢.

(٢) المعنى: أنهم لم يزوجوا بناتهم من غيرهم بعيداً عن رجال الأسرة أو القبيلة نفسها.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٣ و الحلية ٩/ ١٢٥.

قال حرملة:

كان الشافعي يتلهف على ما ضيّع المسلمون من الطب ويقول:

ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى[1].

رضا الناس

قال الشافعي رحمه الله:

رضا الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه[2].

التزلف

قال الشافعي رحمه الله:

ما رفعتُ من أحد فوق منزلته، إلا وضع مني بمقدار ما رفعتُ منه[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٢٢، والعقد الفريد ٢/ ٣٢٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢.

ضياع

قال الشافعي رحمه الله:

ضياع العالم أن يكون بلا إخوان.

وضياع الجاهل قلة عقله.

وأضيع منهما من واخى من لا عقل له[1].

من استغضب

قال الشافعي رحمه الله:

من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان[2].

ثلاثة لا تقربها

قال الربيع: قال الشافعي رحمه الله:

يا ربيع، اقبل مني ثلاثة:

ـ لا تخوضنَّ في أصحاب رسول الله ﷺ، فإن خصمك النبي ﷺ غداً.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٤٣.

- ولا تشتغل بالكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل.

- ولا تشتغل بالنجوم[1].

الشبع

قال الشافعي رحمه الله:

الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعِف عن العبادة[2].

الزهد

قال الربيع: قال الشافعي رحمه الله:

عليك بالزهد، فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد[3].

أصول

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٢٧ وآداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي ص١٠٦.

(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٣٠.

أصل العلم التثبت، وثمرته السلامة.

وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة.

وأصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر.

وأصل العمل التوفيق، وثمرته النجح.

وغاية كل أمر الصدق[1].

أدب العلماء

قال الشافعي رحمه الله:

كنت أتصفحً الورق بين يدي مالك برفق، لئلا يسمع وقعها[2].

المحدثات

قال الشافعي رحمه الله:

المحدثات من الأمور ضربان:

ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة، أو أثراً، أو إجماعاً، فهذه البدعة ضلالة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤١.

(٢) حاشية رسالة المسترشدين. لأبي غدة ص١٤١.

وما أحدث من الخير، لا خلاف فيه لواحد من هذا[1]، فهذه محدثة غير مذمومة، قد قال عمر في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه.

يعني: أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت[2] فليس فيها رد لما مضى[3].

التوسط

قال الشافعي رحمه الله:

الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط[4].

العلم ما نفع

قال الشافعي رحمه الله:

العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ[5].

---

(١) أي من الكتاب والسنة والأثر والإجماع.

(٢) أي وحين وجدت.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٧٠.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٢٢.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣.

الاستنباط

قال الشافعي رحمه الله:

استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر[1].

العقل

قيل للشافعي رحمه الله: أخبرنا عن العقل، يولد به المرء؟

فقال: لا، ولكنه يلقح من مجالسة الرجال، ومناظرة الناس[2].

أرفع الناس

قال الشافعي رحمه الله:

أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله[3].

---

(١) صفة الصفوة ٢/١٦٨.
(٢) حلية الأولياء ٩/١٢١.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/٩٩.

المحافظة على الصديق

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي رحمه الله ذات يوم:

يا يونس، إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة، وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك.

ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المبلِّغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنتَ أصدق وأبر. ولا تزيدنَّ على ذلك شيئاً.

وإن اعترف بذلك، فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر، فاقبل منه، وإن لم ترَ ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟

فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر، وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت في ذلك بالخيار، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى، وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[1].

فإن نازعتك نفسك بالمكافأة، فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان، ولاتبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه.

وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد، ولا يبخس حقاً لي.

يا يونس، إذا كان لك صديق فشدَّ يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل.

وقد كان الرجل الصالح يشبِّه سهولة مفارقة الصديق، بصبي يطرح في البئر حجراً عظيماً، فيسهل طرحه عليه، ويصعب إخراجه على الرجال.

فهذه وصيتي إليك والسلام[2].

الحسد

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٢١.

الحسد إنما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل.

الحاسد طويل الحسرات، عادم الدرجات[1].

الظالم لنفسه

قال الشافعي رحمه الله:

أظلم الظالمين لنفسه:

- من تواضع لمن لا يكرمه.
- ورغب في مودة من لا ينفعه.
- وقبل مدح من لا يعرفه[2].

السعاية

قال الشافعي رحمه الله:

قبول السعاية شر من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلَّ على شيء كمن قبل وأجاز[3].

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤٣.

(٣) صفة الصفوة ٢/١٦٨.

فائدتان من الصوفية

قال الشافعي رحمه الله:

صحبت الصوفية عشر سنين، ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين:

الوقت سيف.

وأفضل العصمة أن لا تجد[1].

حسن الخاتمة

قال الشافعي رحمه الله:

من أحب أن يقضى له بالحسنى، فليحسن بالناس الظن[2].

تنزيه الأسماع

قال أحمد بن يحيى الوزير:

خرج الشافعي يوماً من سوق القناديل، متوجهاً إلى حجرته، فتبعناه، فإذا رجل يَسْفَهُ على رجل من أهل العلم. فالتفت إلينا الشافعي فقال:

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٤٣.

نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا[1]، كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل.

وإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه، فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو رُدَّت كلمة السفيه، لسَعِدَ رادها، كما شقي بها قائلها[2].

الفقه سيد العلم

سأل طالب علم الشافعي رحمه الله فقال: أيَّ العلم أطلب؟

فقال:

يا بني: أما الشعر، فيضع الرفيع، ويرفع الخسيس.

وأما النحو، فإذا بلغ الغاية صار مؤدباً.

وأما الفرائض، فإذا بلغ صاحبها فيها الغاية، صار معلم حساب.

---

(١) الخنا: الفحش.

(٢) حلية الأولياء ٩/١٢٣.

وأما الحديث فتأتي بركته وخيره عند فناء العمر.

وأما الفقه، فللشاب وللشيخ، وهو سيد العلم[1].

السؤال عن العمر

قال الربيع: سأل رجل الشافعي عن سنِّه فقال:

ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنِّه، سأل رجل مالكاً عن سنِّه فقال: أقبل على شأنك.

وقال الشافعي:

ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنِّه، لأنه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه[2].

أركان المروءة

قال الشافعي رحمه الله:

أركان المروءة أربعة:

حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك[3].

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٢٥.

(٢) صفة الصفوة ٢/١٦٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/٩٨.

ليس بأخ لك

قال الشافعي رحمه الله:

ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته[١].

مع أهل الطاعة

قال الشافعي رحمه الله:

ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لا بدَّ من ذلك، فليكن المرء مع أهل طاعة الله عز وجل[٢].

الأصل والفروع

قال الشافعي رضي الله عنه:

إذا ثبت الأصل في القلب، أخبر اللسان عن الفروع[٣].

اللؤم

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٣٢.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ١١٧.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٢٠.

طبع ابن آدم على اللؤم، فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد منه، ويتباعد ممن يتقرب منه[1].

السخاء والكرم

قال الشافعي رحمه الله:

السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة، بعد أن لا يلحقهما بدعة[2].

طريقة الوعظ

قال الشافعي رحمه الله:

من وعظ أخاه سراً، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه وخانه[3].

العلم والذنوب

قال الشافعي رحمه الله:

كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي قد أوتيت علماً،

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي برقم ١٧٢.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٣٤.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٤٠.

فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم[1].

وصية لمؤدب

أُدخِلَ الشافعي رحمه الله يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد، ليستأذَن له، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبي عبد الصمد، مؤدب أولاد الرشيد.

فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهو مؤدبهم، فلو أوصيته بهم.

فأقبل الشافعي على أبي عبد الصمد فقال له:

ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين، إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه.

علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه.

ثم روِّهم من الشعر أعفَّه، ومن الحديث أشرفه.

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٤٦.

ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلَّة للفهم[١].

الإخلاص في العلم

قال الشافعي رحمه الله:

من أراد الآخرة فعليه بالإخلاص في العلم[٢].

الكفاءة في الدين

قال الشافعي رحمه الله:

الكفاءة في الدين لا في النسب، لو كانت الكفاءة في النسب لم يكن أحد من الخلق كفوءاً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولا لبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

التصوف

قال الشافعي رحمه الله:

أسس التصوف على الكسل[٤].

---

(١) صفة الصفوة ٢/١٦٩، والحلية ٩/١٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤٣.

(٣) حلية الأولياء ٩/١٢٨.

(٤) حلية الأولياء ٩/١٣٧.

وقال:

لو أن رجلاً عاقلاً تصوف، لم يأت الظهر حتى يصير أحمق[1].

التواضع في طلب العلم

قال الشافعي رحمه الله:

لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس[2]، وضيق العيش، وخدمة العلماء أفلح.

وقال أيضاً:

لا يدرك العلم إلا بالصبر على الذل[3].

المستشار

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٤٢.

(٢) والمعنى: أنه لا بد لطالب العلم أن يكون متواضعاً، لأن العملية التعليمية عطاء، والمعلم هو المعطي والتلميذ هو السائل، ويد المعطي دائماً هي العليا. وحين لا يتوفر هذا المعنى فلن تؤتي العملية التعلمية ثمارها.

(٣) صفحات من صبر العلماء، لعبد الفتاح أبي غدة ص١٤٦.

لا تستشر من ليس في بيته دقيق، لأنه مدَلَّهُ[1] العقل[2].

أقل الضررين

قال الشافعي رحمه الله:

ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر، فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما[3].

مروءة العلم

قال الشافعي رحمه الله:

العلم مروءة من لا مروءة له[4].

العلم والخوف

قال الشافعي رحمه الله:

على قدر علم المرء يعظم خوفه

فلا عالم إلا من الله خائف

---

(١) الدله: ذهاب الفؤاد من هم ونحوه.
(٢) المصدر قبله ص١٤٩.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٣٩.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٤٠.

وآمِـنُ مـكـر الله بـالله جـاهـل

وخـائـف مـكـر الله بـالله عـارف[1]

سورة العصر

قال الشافعي رحمه الله:

لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكفتهم[2].

التغلب بالصبر على الفاقة

قال الشافعي رحمه الله:

أمـطـري لـؤلـؤاً سـمـاء سـرنـديـ

ـب[3] وفيضي آبار تكرور[4] تبرا

أنـا إن عـشـت لـسـت أعـدم قـوتاً

وإذا مـتّ لـسـت أعـدم قـبـرا

هـمـتي هـمـة الـمـلـوك ونـفـسـي

نـفـس حـر تـرى الـمـذلـة كـفـرا

---

(١) حاشية رسالة المسترشدين، لعبد الفتاح أبي غدة ص١٠٠.
(٢) الاستقامة لابن تيمية ٢/٢٥٩.
(٣) سرنديب: جزيرة كبيرة في أقصى بلاد الهند بالجنوب.
(٤) اسم بلاد بأقصى جنوب المغرب.

وإذا ما قنعت بالقوت عمري

فلما أزور زيداً وعمرا؟[1]

صاحب الهوى

قال الشافعي رحمه الله:

لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته[2].

فنون العلم

قال الشافعي رحمه الله:

من تعلم القرآن عظمت قيمته.

ومن تكلم في الفقه نما قدره.

ومن كتب الحديث قويت حجته.

ومن نظر في اللغة رقَّ طبعه.

ومن نظر في الحساب جزل رأيه.

ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه[3].

---

(١) صفحات من صبر العلماء. لعبد الفتاح أبي غدة ص١٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤، جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٤.

التوحيد

قال الشافعي رحمه الله:

سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال:

محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد[1].

المراء

قال الشافعي رحمه الله.

المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن[2].

عيب العلماء

قال الشافعي رحمه الله:

لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨.

(٣) الطبقات الكبرى ١/٤٣.

الكتاب والسنة

قال الشافعي رحمه الله:

كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجِدُّ، وما سواهما فهو هذيان[1].

الأصول

قال الشافعي رحمه الله.

الأصل قرآن أو سنة.

فإن لم يكن فقياس عليهما.

وإذا صح الحديث فهو سنة.

والإجماع أكبر من الحديث المنفرد.

والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني. فما أشبه ظاهره[2].

فضل العلم

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢١.

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة[1].

وقال:

الحديث خير من صلاة التطوع[2].

صيادلة وأطباء

قال الشافعي رحمه الله لبعض أصحاب الحديث:

أنتم الصيادلة، ونحن الأطباء[3].

علمان

قال الشافعي رحمه الله:

العلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان[4].

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١١٩، وجامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣، وجاء في تاريخ ابن عساكر ١٤/ ٤١١ عن الإمام أحمد قال: كان الفقهاء أطباء، والمحدثون صيادلة، فجاء محمد بن إدريس طبيباً صيدلانياً.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٤٢.

العالم يسأل

قال الشافعي رحمه الله:

العالم يسأل عما يعلم، وعما لا يعلم، فيثبِّت ما يعلم، ويتعلم ما لا يعلم.

والجاهل يغضب من التعلُّم، ويأنف من التعليم[1].

علمان

قال الشافعي رحمه الله:

العلم علمان:

علم الدين وهو الفقه.

وعلم الدنيا وهو الطب.

وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث[2].

العدوان

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٣٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤١.

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد[1].

الفقه أولاً

قال الشافعي رحمه الله:

تفقَّه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه[2].

دقائق العلم

قال الشافعي رحمه الله:

دققوا مسائل العلم، لئلا تضيع دقائقه[3].

جمال العلماء

قال الشافعي رحمه الله:

جمال العلماء: كرم النفس، وزينة العلم: الورع والحلم[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤١.
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤٣.
(٣) المرجع قبله ١/ ٤٣.
(٤) المرجع قبله ١/ ٤٣.

مراقبة اللسان

سئل الشافعي رحمه الله عن مسألة فسكت.

فقيل له: ألا تجيب رحمك الله!

فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي[1].

حب وحب

قال الشافعي رحمه الله:

من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب[2].

النجاة

قال الشافعي رحمه الله:

اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا.

وقال:

---

(١) إحياء علوم الدين، طبعة دار الخير ١/٣٦.

(٢) المرجع قبله ١/٣٦.

من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان:

من أمر بالمعروف وائتمر،

ونهى عن المنكر وانتهى.

وحافظ على حدود الله تعالى.

وقال أيضاً:

كن في الدنيا زاهداً، وفي الآخرة راغباً، واصدق الله تعالى في جميع أمورك، تنج مع الناجين[١].

النظافة

قال الشافعي رحمه الله:

من نظف ثوبه، قلَّ همه، ومن طاب ريحه زاد عقله[٢].

لا بدَّ من ورد

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) المرجع قبله ١/ ٣٧.

(٢) المرجع قبله ١/ ٢٤٠.

لا بدَّ للعالم من ورد منِ أعماله، يكون بينه وبين الله تعالى[1].

الإخلاص

قال الشافعي رحمه الله:

لو اجتهد أحدكم كل الجهد على أن يرضي الناس كلهم عنه فلا سبيل له، فليخلص العبد عمله بينه وبين الله تعالى.

وقال أيضاً:

لا يعرف الرياء إلا المخلصون[2].

الحلال والحرام

قال الشافعي رحمه الله:

ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم.

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤٤.
وهذا التزام بقول عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا عمل عملاً أثبته.

(٢) المرجع قبله ١/ ٤٤.

وجهة العلم: ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو في القياس، على هذه الأصول ما في معناها[1].

الفضائل أربع

قال الشافعي رحمه الله:

الفضائل أربع:

إحداها: الحكمة، وقوامها الفكرة.

والثانية: العفة، وقوامها في الشهوة.

والثالثة: القوة، وقوامها في الغضب.

والرابعة: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس[2].

الفقر

قال الشافعي رحمه الله:

فقر العلماء اختيار، وفقر الجهلاء اضطرار[3].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٣٢.
(٢) إحياء علوم الدين ٦/ ٤٦.
(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤٣.

عز التقوى

قال الشافعي رحمه الله:

من لم تعزه التقوى فلا عزَّ له[1].

طلب الفضول

قال الشافعي رحمه الله:

طلب فضول الدنيا، عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد[2].

صدق الأخوة

قال الشافعي رحمه الله:

من صدق في أخوة أخيه: قَبِل علله، وسد خلله، وعفا عن زلله[3].

النمام

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) المرجع قبله ١/ ٤٣.

(٢) مناقب الشافعي لابن كثير. ص٢٣١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١٣٨.

من نمَّ لك نمَّ عليك، ومن نقل إليك نقل عنك[1].

ما ليس فيك

قال الشافعي رحمه الله:

من إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، كذلك إذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك[2].

الرجل الكامل!

قال الشافعي رحمه الله:

لا يكمل الرجل إلا بأربع: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة[3].

التواضع والكبر

قال الشافعي رحمه الله:

التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام.

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٤٣.
(٢) المرجع قبله ١/ ٤٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٨.

التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة[1].

حرص على العلم

قال الشافعي رحمه الله للربيع:

لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك.

وقال:

وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم، ولا ينسب إليّ منه شيء.

وقال:

وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس، أوجر عليه، ولا يحمدوني[2].

تشجيع من أجل العلم

قال الحميدي:

ربما ألقى الشافعي عليّ وعلى ابنه أبي عثمان المسألة ويقول: أيكم أصاب فله دينار[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٩٩.
(٢) حلية الأولياء ٩/١١٨ ـ ١١٩.
(٣) آداب الشافعي ومناقبه ص٩٧.

حاجة طالب العلم

قال الشافعي رحمه الله:

طالب العلم يحتاج إلى ثلاث خصال:

إحداها: حسن ذات اليد.

والثانية: طول العمر.

والثالثة: أن يكون له ذكاء[١].

أنفع الذخائر

قال الشافعي رحمه الله:

أنفع الذخائر التقوى، وآخرها العدوان[٢].

سياسة الناس

قال الشافعي رحمه الله:

سياسة الناس أشد من سياسة الدواب[٣].

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٢٠.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٨.

العاقل

قال الشافعي رحمه الله:

العاقل من عَقلَه عقلُه عن كل مذموم[1].

الكلام والأهواء

قال الشافعي رحمه الله:

لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به، خير من النظر في الكلام، فإني والله اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط.

وقال:

لأن يلقى العبد الله بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

وقال:

من ارتدى بالكلام لا يفلح.

وقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٩٨.

لو علم الناس ما في الكلام والأهواء، لفروا منه كما يفرون من الأسد[1].

وقال:

إياكم والنظر في الكلام، فإن رجلاً لو سئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها، أو سئل عن رجل قتل رجلاً، فقال: ديته بيضة، كان أكبر شيء أن يضحك فيه، ولو سئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها، نسب إلى البدعة[2].

القناعة والحرية

قال الشافعي رحمه الله:

من غلبته شدة شهوة الدنيا، لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع، زال عنه الخضوع[3].

صحبة الإخوان

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١١١ ـ ١١٢.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ١١٣.
(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ص٤٤.

ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم[(١)].

وثاق وإطلاق

قال الشافعي رحمه الله:

من برَّكَ فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك[(٢)].

فوق ما يساوي

قال الشافعي رحمه الله:

من سام بنفسه فوق ما يساوي، رده الله تعالى إلى قيمته[(٣)].

وقال:

من تزين بباطل هتك الله ستره.

وقال:

التكبر من أخلاق اللئام[(٤)].

---

(١) المرجع قبله ص٤٤.
(٢) المرجع قبله ص٤٤.
(٣) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٣٣.
(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ص٤٤.

السفيه مع الفقيه

قال الشافعي رحمه الله:

ينبغي للفقيه أن يكون معه سفيه ليسافه عنه[1].

الراشدون

قال الشافعي رحمه الله:

الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز[2].

مسألة لا تنسى

قال الشافعي رحمه الله:

من ضُحِكَ منه في مسألة لم ينسها أبداً[3].

حلية العالم

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) المرجع قبله ص٤٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠.

(٣) صفة الصفوة ٢/١٦٨.

رتبة العلماء التقوى، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النفس[1].

من لا يحب العلم

قال الشافعي رحمه الله:

من لا يحب العلم لا خير فيه، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة[2].

مراجعة العلم

قال الشافعي رحمه الله:

إذا رأيتم الكتاب فيه إلحاق وإصلاح، فاشهدوا له بالصحة[3]..

علم العربية

قال الشافعي رحمه الله:

أصحاب العربية جنُّ الإنس، يبصرون ما لا يبصر غيرهم[4].

---

(١) الشافعي لعبد الغني الدقر ص٣٤١ عن توالي التأسيس.
(٢) المرجع قبله ص٣٤١ عن توالي التأسيس.
(٣) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص١٣٤.
(٤) المرجع قبله ص١٥٠ والمعنى: كما إن الجن يرون ما لا =

حد العقل

قال الشافعي رحمه الله:

إن للعقل حداً ينتهي إليه، كما أن للبصر حداً ينتهي إليه[1].

عالم وطبيب

قال الشافعي رحمه الله:

لا تسكننَّ بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك[2].

الحرص على المروءة

قال الشافعي رحمه الله:

لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي، ما شربته إلا حاراً[3].

= يرى الإنس. فكذلك علماء اللغة العربية يرون في النص ما لا يبصره غيرهم، فهم بهذا المعنى جن بني آدم. لأنهم يرون من المعنى ما لا يراه غيرهم.

(١) آداب الشافعي ومناقبه ص٢٧١.

(٢) آداب الشافعي ومناقبه ص٢٢٢.

(٣) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٣٢.

أهل المروءة

قال الشافعي رحمه الله:

أهل المروءة في جهد[1].

الشفاعة

قال الشافعي رحمه الله:

الشفاعات زكاة المروءات[2].

أولويات

قال الشافعي رحمه الله:

إذا كثرت الحوائج، فابدأ بأهمها[3].

كتمان السر

قال الشافعي رحمه الله:

من كتم سره كانت الخيرة في يده[4].

---

(١) المرجع قبله ص٢٣٢.
(٢) المرجع قبله ص٢٣٤.
(٣) المرجع قبله ص٢٣٤.
(٤) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٣٤.

أصحاب العاهات

قال الشافعي رحمه الله:

احذر الأعور، والأحول، والأعرج، والأحدب، والأشقر، والكوسج[1]، وكل من به عاهة في بدنه، وكل ناقص الخلق فاحذره، فإن فيه التواء، ومخالطته عسرة[2].

أولياء الله

قال الشافعي رحمه الله:

إن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله، فلا أعلم لله ولياً[3].

يطير في الهواء

قال يونس بن عبد الأعلى: قلت للشافعي:

---

(١) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٤٤ قال ابن أبي حاتم: هذا إذا كانت ولادتهم بهذه الحالة فأما من حدث به شيء من هذه العلل، وكان في الأصل صحيح التركيب، لم تضر مخالطته.

(٣) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٣٨.

إن صاحبنا ـ يعني الليث بن سعد ـ كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

قال الشافعي: قصَّر رحمه الله. بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة[1].

ميدان الألفاظ

ذاك الشافعي رحمه الله:

أقدر الفقهاء على المناظرة: من عوَّد لسانه على الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رمقته العيون والألحاظ[2].

تعزية

مات لعبد الرحمن بن مهدي ابن، فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى امتنع من الطعام والشراب، فبلغ ذلك محمد بن إدريس الشافعي، فكتب إليه:

---

(١) المرجع قبله ص٢٣٨.
(٢) المرجع قبله ص٢٣٩.

أما بعد:

فعزِّ نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك.

واعلم أن أمضَّ المصائب فقد سرور مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر؟ فأقول:

إني معزِّيك لا أني على ثقة
من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزَّى بباق بعد صاحبه
ولا المعزِّي ولو عاشا إلى حين

قال: فكانوا يتهادونه بينهم بالبصرة[1].

العلم للدنيا والآخرة

قال الشافعي رحمه الله:

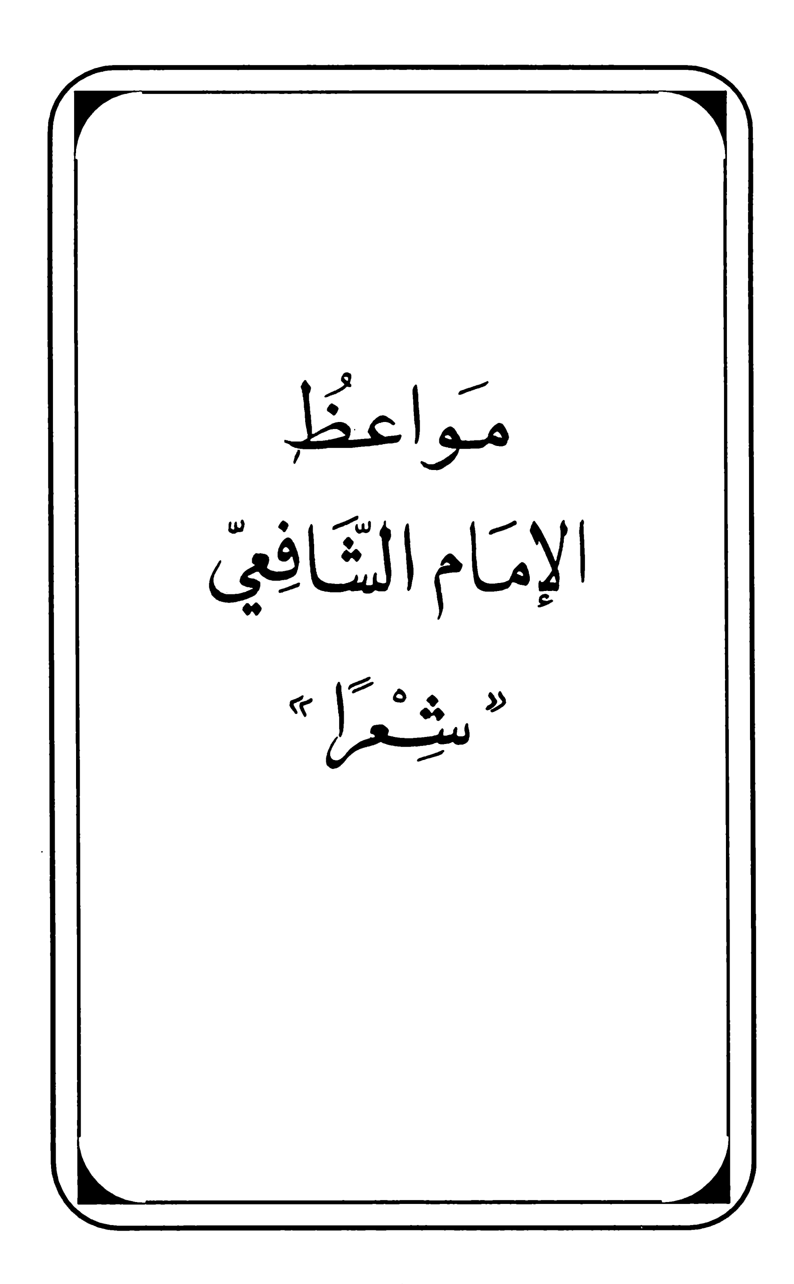
من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم[2].

---

(١) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٤٠.

(٢) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٤٠.





مَواعِظُ
الإمَام الشَّافِعِيّ
«شِعْرًا»

شعر الإمام الشافعي

لا شك بأن الإمام الشافعي يملك موهبة شعرية جيدة، ولو أراد لكان من الشعراء المجلين في عصره، ولكنه انصرف عن ذلك إلى السنة والفقه.. وترك الشعر لأنه لا يتناسب مع العلم، ويزري بالعالم. وهو القائل:

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

وأشجع في الورى من كل ليث
وآل مهلب وبني يزيد

ولولا خشية الرحمن ربي
حسبت الناس كلهم عبيدي

ومع ذلك فقد ترك شعراً جيداً.

قال المبرد: «رحم الله الشافعي فإنه كان من أشعر الناس، وآداب الناس وأعرفهم بالقرآن»[1].

---

(١) الإمام الشافعي لعبد الغني الدقر. عن توالي التأسيس ص٦٢.

«وأكثر موضوعاته الشعرية تمليها عليه مناسبة عابرة، أو حكمة اجتماعية أو دينية، أو تجربة من تجاربه مع الناس والحياة، وأكثر شعره مما يصلح أن يتمثل به في كل ما قيل فيه»[1].

وأختار بعض شعر الإمام مما يدخل في موضوع بحثنا، وما لم أعزه إلى مرجع فهو من الديوان الذي جمعه محمد عفيف الزعبي ونشرته مكتبة المعرفة، ودار العلم للطباعة والنشر. الطبعة الثالثة.

رُبَّ أشعث

لما أشخص الشافعي إلى سرَّ من رأى، دخلها وعليه أطمار رثة، وطال شعره، فتقدم إلى مزين فاستقذره لما نظر من رثاثته، فقال له: تمضي إلى غيري، فاشتد على الشافعي أمره، فالتفت إلى غلام كان معه فقال: إيش معك من النفقة؟ قال: عشرة دنانير، قال: ادفعها إلى المزين، فدفعها الغلام إليه، فولى الشافعي وهو يقول:

عليَّ ثيابٌ لوْ يباعُ جميعُها

بفلسٍ لكانَ الفلسُ منهنَّ أكثرا

---

(١) الإمام الشافعي لعبد الغني الدقر ص٢٦٠.

وفيـهنَّ نـفسٌ لـو يقـاسُ بـمثـلـها

جميعُ الورى كانتْ أجلَّ وأخطرا

فما ضرَّ نصلُ السيفِ إخلاقُ غمدهِ

إذا كـانَ عـضباً حيثُ أنقـذْتَهُ بـرا

فـإنْ تـكـنِ الأيـامُ أزرتْ بـبـزتـي

فكمْ مِنْ حسامٍ في غلافٍ تكسرا(١)

أنطقتهم الدراهم

قال الشافعي رحمه الله:

وأنـطـقـتِ الـدراهـمُ بـعـدَ صـمـتٍ

أنـاسـاً بـعـدَما كـانـوا سـكـوتـا

---

(١) والعظة المستفادة من هذا الخبر أن الشافعي رحمه الله، أراد أن يعلم هذا المزين وأمثاله أن الظاهر لا يحكم على الإنسان وفي الحديث الشريف (رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه). وقد أعطى الشافعي هذا المزين من المال ما يعادل دخله طول شهر أو أكثر ثم مضى، ولم يقض حاجته عنده، ليعلمه درساً عملياً في عدم ازدراء الناس أياً كان وضعهم، لأننا لا نعلم الظروف المحيطة بهم، والخبر في حلية الأولياء ٩/ ١٣١.

فـمـا عـطـفـوا عـلـى أحـدٍ بـفـضـلٍ

ولا عـرفـوا لـمـكـرمـةٍ ثـبـوتـا[1]

الأنس بالوحدة

قال الشافعي رحمه الله:

ليتَ الكلابَ لنا كانتْ مجاورةً

ولـيـتـنـا لا نـرى مـمـا نـرى أحـدا

إنَّ الـكـلابَ لـتـهـدا في مـواطـنـهـا

والـنـاسُ لـيـس بـهـادٍ شـرُّهـم أبـدا

فاهربْ بنفسكَ واستأنس بوحدتها

تبقى سعيداً إذا ما كنتَ منفردا[2]

إضاعة العلم

لـمـا دخـل الـشـافـعـي مـصـر، أتـاه جـلـة أصـحـاب مالك، وأقبلوا عليه، فابتدأ يخالف أصحاب مالك في مسائل، فتنكروا له. فقال:

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٤١.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٤٩.

أأنـثـرُ دراً وَسْـطَ سـارحـةِ الـنَّعـمْ

وأنـظـمُ مـنـثـوراً لـراعـيـةِ الـغـنـم؟

لعمري لئن ضُيِّعْتُ في شرِّ بلدةٍ

فلستُ مضيِّعاً بينهم غررَ الحكم

فـإنْ فـرَّج الله الـلـطـيـفُ بـلـطـفه

وصادفتُ أهلًا للعلوم وللحكم

بثثتُ مفيداً واستفدتُ ودادهم

وإلاّ فـمـكـنـونٌ لـديَّ ومـكـتـتـم

فمن منح الجهال علماً أضاعه

ومن منع المستوجبين فقد ظلم[١]

الرضا بالقدر

دعِ الأيـامَ تـفـعـلُ مـا تـشـاء

وطبْ نفساً إذا حكمَ القضاءُ

ولا تـجـزعْ لـحـادثـة[٢] الـلـيـالـي

فـمـا لـحـوادثِ الـدنـيـا بـقـاءُ

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٥٣.

(٢) حادثة الليالي: مصائبها.

وكنْ رجلاً على الأهوالِ جَلْداً

وشيمتُكَ[1] السماحةُ والوفاءُ

ورزقكُ ليس يُنْقِصُه التأني

وليس يزيدُ في الرزقِ العَنَاءُ

ومنْ نزلتْ بساحته المنايا

فلا أرضٌ تقيه ولا سماءُ

وأرضُ اللَّهِ واسعةٌ ولكنْ

إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ

دعِ الأيامَ تغدر[2] كل حينِ

فما يغني عنِ الموتِ الدواءُ[3]

القناعة

قال الشافعي رحمه الله:

إذا ما كنت ذا قلب قنوع

فأنت ومالك الدنيا سواء

---

(١) الشيمة: الخلق.

(٢) الغدر: ترك الوفاء.

(٣) الديوان عن جواهر الأدب.

السخاء

قال الشافعي رحمه الله:

وإنْ كثرتْ عيوبُكَ في البرايا
وسرَّكَ أنْ يكونَ لها غِطاءُ
تستَّرْ بالسخاءِ فكلُّ عيبٍ
يغطِّيهِ - كما قِيلَ - السخاءُ
ولا ترجُ السماحة من بخيل
فما في النار للظمآن ماءُ

سهام الليل

قال الشافعي رحمه الله:

أتهزأُ بالدّعاءِ وتَزْدَريه
وما تدري بما صنعَ الدعاءُ
سهامُ الليل[1] لا تخطي ولكنْ
لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءُ

تأمُّل

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) سهام الليل: الدعاء.

تموتُ الأُسْدُ في الغاباتِ جوعاً

ولحمُ الضأنِ تأكلُه الكلابُ

وعبدٌ قدْ ينامُ على حريرٍ

وذو نسبٍ مفارشُهُ الترابُ

نذر المنية

قال الشافعي رحمه الله:

أأنعمُ عيشاً بعدَ ما حَلَّ عارضي

طلائعُ شيبٍ ليسَ يغني خِضَابُها

إذا اصفرَّ لونُ المرءِ وابيضَّ شعرُهُ

تَنَغَّصَ[1] مِنْ أيامِهِ مستطابها

فدعْ عنكَ سوءاتِ الأمورِ[2] فإنها

حرامٌ على نفسِ التقيِّ ارتكابها

زكاة الجاه

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) تنغص: تكدر وساء.

(٢) سوءات الأمور: قبيحها وساقطها.

وأدِّ زكـاةَ الـجـاهِ[1] واعـلـمْ بـأنـهـا
كـمـثـلِ زكـاةِ الـمـالِ تـمَّ نـصـابُـهـا
وأحسنْ إلى الأحرارِ تملكْ رقابَهم
فخيرُ تجاراتِ الكرامِ اكتسابُها

الدنيا سراب

قال الشافعي رحمه الله:

ومنْ يذقِ الدنيا فإني طعمتُها
وسيـقَ إلـيـنـا عَـذْبُـهـا وعَـذَابُـهـا
فـلـمْ أرَهَـا إلا غـروراً وبـاطـلاً
كما لاحَ في ظهرِ الفلاةِ[2] سرابُها
ومـا هـي إلا جـيـفـةٌ مـسـتـحـيـلـةٌ
عـليـهـا كـلابٌ هـمُّـهـنَّ اجـتـذَابُـهـا
فإنْ تَجْتَنِبْها كنتَ سِلْماً لأهلها
وإنْ تـجـتـذبْـهـا نـازعـتْـكَ كـلابُـهـا
فطوبى لنفسٍ أولعتْ قعرَ دارِها
مغلّقة الأبوابِ مرخىً حجابُها

---

(١) الجاه: المنزلة والقدر.

(٢) لاحَ في ظهر الفلاة: ظهر في سطح الصحراء.

السفيه

قال الشافعي رحمه الله:

إذا نطقَ السَّفيهُ فلا تجبْهُ

فخيرٌ منْ إجابَتِهِ السكوتُ

فإنْ كلَّمتَهُ فَرَّجْتَ عنهُ

وإنْ خليَّتَه كمداً يموتُ

وقال أيضاً:

يخاطبني السَّفيهُ بكلِّ قُبحِ

فأكرهُ أنْ أكونَ لهُ مجيبا

يزيدُ سَفاهةً فأزيدُ حلماً

كعودٍ زادَهُ الإحراقُ طيبا

غنى النفس

قال الشافعي رحمه الله:

غنيٌّ بلا مالٍ عنِ النَّاسِ كلِّهم

وليسَ الغنى إلا عنِ الشيءِ لا بهِ

العفو والمداراة

قال الشافعي رحمه الله:

لما عفوتُ ولمْ أحقِدْ على أحدٍ

أرحتُ نفسي منْ همِّ العداواتِ

إنـي أحـيـيٌّ عـدوي عـنـدَ رؤيـتـه

لأدفـعَ الـشـرَّ عـنِّـي بـالـتـحـيـاتِ

الجود الكبير

قال الشافعي رحمه الله:

يا لهفَ نفسي[1] على مالٍ أجود به

على المقلِّين مِنْ أهلِ المروءاتِ

إنَّ اعتذاري إلى مَنْ جاءَ يسألني

ما ليسَ عندي لَمِنْ إحدى المصيباتِ

الشدائد

قال الشافعي رحمه الله:

ولـرُبَّ نـازلـةٍ يـضـيـقُ لـهـا الـفـتـى

ذرعـاً وعـنـدَ الـلَّـهِ مـنـهـا الـمـخـرجُ

---

(١) يا لهف نفسي: يا حسرة نفسي. والتلهف على الشيء: التحسر والحزن عليه.

ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها

فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تفرَجُ

تسليم

قال الشافعي رحمه الله:

أسلِّمُ إنْ أرادَ اللَّهُ أمراً

فأتركُ ما أريدُ لما يريدُ

احذر صفو الليالي

قال الشافعي رحمه الله:

أحسنتَ ظنَّك بالأيامِ إذْ حَسُنَتْ

ولمْ تَخَفْ سوءَ ما يأتي بهِ القَدَرُ

وسالمتْكَ الليالي فاغتررتَ بها

وعندَ صفوِ الليالي يحدثُ الكدَرُ

الصديق عند الضيق

قال الشافعي رحمه الله:

صديقٌ ليسَ ينفعُ يومَ بؤسٍ

قريبٌ منْ عدوٍ في القياسِ

وما يبقى الصَّديقُ بكلِّ عصرٍ

ولا الإخـوانُ إلا لـلـتـآسـي

عَمَرْتُ الدَّهرَ ملتمساً بجهدي

أخا ثِقَةٍ فأَلهاني التماسي

تنكَّرتِ البلادُ ومنْ عليها

كأنَّ أنَاسَها ليسوا بناسي

لو كان حبك صادقاً

قال الشافعي رحمه الله:

تعصي الإلٰهَ وأنت تظهرُ حبَّهُ

هذا محالٌ في القياسِ بديعُ

لوْ كانَ حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ

إنَّ المحبَّ لمنْ يحبُّ مطيعُ

الطمع والهوان

قال الشافعي رحمه الله:

أمتُّ مطامعي فأَرحْتُ نَفْسي

فإنَّ النَّفْسَ ما طَمِعتْ تَهونُ

وأَحيَيْتُ القُنوعَ وكانَ مَيْتاً

ففي إحْيائِه عِرْضٌ مَصُون

إذا طـمـعٌ يَـحُـلُّ بـقـلـبِ عـبـدٍ

عَـلـتْـهُ مـهـانـةٌ وعـلاهُ هُـونُ[1]

الحظ والرزق

قال الشافعي رحمه الله:

إنَّ الذي رُزِقَ اليسارَ فلمْ يُصِبْ

حـمـداً ولا أجـراً لَـغَـيْـرُ مـوفـقِ

فـالـجِـدُّ يُدْنِي كـلَّ شيءٍ شـاسـعٍ

والـجِـدُّ يـفـتـحُ كـلَّ بـابٍ مـغـلـقِ

فإذا سمعتَ بأنَّ مجدوداً حوى

عـوداً فـأثـمـر فـي يـديـه فـصـدِّقِ

وإذا سـمـعـتَ بـأنَّ مـحـرومـاً أتـى

مـاءً لـيـشـربـه فـغـاضَ فـحـقـقِ

لو كانَ بالحيلِ الغِنَى لوجدتني

بـنـجـومِ أقـطـارِ الـسـمـاءِ تـعـلـقـي

لكنَّ مَنْ رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغِنى

ضــدانِ مــفــتــرقــانِ أيَّ تــفــرقِ

---

(١) مناقب الشافعي لابن كثير ص٢٤٢.

وأحـقُّ خلـقِ اللَّـهِ بـالـهَـمِّ أمـرؤ

ذو هـمـةٍ يُـبـلـى بـرزقٍ ضـيـقِ

ومنَ الدليلِ على القضاءِ وكونه[1]

بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ[2]

الحسد

قال الشافعي رحمه الله:

وذِي حَسَدٍ يغتابُني حيثُ لا يَرى

مكاني ويُثني صالحاً حينَ أسمعُ

تـورَّعـتُ أنْ اغـتـابَـه مِـنْ ورائِـه

ومـا هـو إذْ يـغـتـابُـنـي يـتـورَّعُ[3]

يا واعظ الناس

قال الشافعي رحمه الله:

يا واعِظَ النَّاسِ عمَّا أنْتَ فاعِلُه

يا مَنْ يُعَدُّ عليه العُمْرُ بالنَّفَسِ

---

(١) وكونه: أي ووجوده.

(٢) مناقب الشافعي ص٢٤٣ والديوان.

(٣) مناقب الشافعي ص٢٤٣.

احفظْ لشَيْبِكَ مِنْ عيبٍ يدنِّسُه
إنَّ البياضَ قليلُ الحملِ للدَّنَسِ
كحاملٍ لثيابِ الناسِ يغسلُها
وثوبُه غارقٌ في الرجسِ والنجسِ
تبغي النجاةَ ولمْ تسلكْ طريقتَها
إنَّ السَّفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

شكوى

قال الشافعي رحمه الله:

شكوتُ إلى وكيعٍ[1] سوءَ حفظي
فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ
ونورُ اللَّهِ لا يهدى لعاصي

حب الصالحين

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) وكيع بن الجراح، الحافظ، أحد الأئمة الأعلام. وهو واحد من شيوخ الشافعي رحمهم الله.

أحبَّ الصالحينَ ولستُ منهم

لعلِّي أنْ أنالَ بهمْ شفاعة

وأكرهُ منْ تجارتُهُ المعاصي

ولوْ كنَّا سواءً في البِضَاعة

حسن النصيحة

تَعْمَّدْني بنصحِكَ في انفرادي

وجَنِّبْني النَّصيحةَ في الجماعَه

فإنَّ النُّصحَ بينَ الناسِ نوعٌ

منَ التَّوْبيخِ لا أرضى اسْتِماعَه

الغربة

قال الشافعي رحمه الله:

إنَّ الغريبَ لهُ مخافةُ سارقٍ

وخضوعُ مَدْيُونٍ وذِلَّةُ مُوْثَقِ

فإذا تذكر أهلَهُ وبلادَهُ

ففؤادُه كجناحِ طيرٍ خافقِ

اعمل بنفسك

قال الشافعي رحمه الله:

مـا حَـكَّ جِـلْـدَكَ مـثـلُ ظـفـرِكْ

فـتــوَلَّ أنــتَ جــمــيــعَ أمــرِكْ

صيانة النفس

قال الشافعي رحمه الله:

صنِ النفسَ واحملها على ما يزينُها

تعشْ سالماً والقولُ فيكَ جميلُ

ولا تُـولـيـنَّ الـنَّـاسَ إلا تـجـمـلاً

نـبـا بـكَ دهـرٌ أو جـفـاكَ خـلـيـلُ

وإنْ ضاقَ رزقُ اليومِ فاصبرْ إلى غدٍ

عسى نكباتُ الدهرِ عنكَ تَزولُ

قلة الإخوان

ولا خـيـرَ فـي ودِّ امـرئٍ مـتـلـوِّنِ

إذا الريحُ مالتْ، مال حَيثُ تميلُ

ومـا أكـثـرَ الإخـوانَ حـيـنَ تـعـدُّهـمْ

ولـكـنَّـهـم فـي الـنـائـبـاتِ قـلـيـلُ

المرء بعلمه

تـعـلّـمْ فـلـيـسَ الـمـرءُ يـولـدُ عـالـمـاً

وليسَ أخو علمٍ كمنْ هوَ جاهلُ

وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عندَهُ

صغيرٌ إذا التفَّتْ عليهِ الجحافلُ

وإنَّ صغيرَ القومِ إن كانَ عالماً

كبيرٌ إذا ردَّتْ إليه المحافلُ

حب آل البيت

يا آلَ بيتِ رسولِ اللَّهِ حبّكُمُ

فرضٌ منَ اللَّهِ في القرآنِ أنزلهُ

يكفيكمُ منْ عظيمِ الفخرِ أنكمُ

مَنْ لَمْ يصلِّ عليكمْ لا صلاةَ لهُ

وقال:

يا راكباً قفْ بالمحصَّبِ[١] منْ منىً

واهتِفْ بقاعِدِ خيفها[٢] والناهِضِ[٣]

سحراً إذا فاضَ الحجيجُ إلى منىً

فيضاً كملْتَطِمِ الفراتِ الفائضِ

---

(١) المحصب: موضع بين مكة ومنى، وهو بطحاء مكة.

(٢) خيفها: خيف بني كنانة. وهو أول البطحاء.

(٣) الناهض: ما ارتفع عن الخيف.

إنْ كـانَ رفـضـاً حـبُّ آلِ مـحـمـدٍ

فـلـيـشـهـدِ الـثـقـلانِ أنـي رافـضـي

حفظ اللسان

احـفـظْ لـسـانـكَ أيّـهـا الإنـسـانُ

لا يـلـدغَـنَّـكَ إنـهُ ثـعـبـانُ

كـمْ في الـمقابرِ مِنْ قتيلِ لِسانِهِ

كـانـتْ تـهـابُ لـقـاءَهُ الأقـرانُ

نعيب زماننا

نـعـيـبُ زمـانَـنَـا والـعـيـبُ فـيـنـا

ومـا لـزمـانِـنـا عـيـبٌ سِـوانـا

ونـهـجـو ذا الـزمـانِ بـغـيـرِ ذَنْـبٍ

ولـوْ نـطـقَ الـزمـانُ لـنـا هـجـانـا

ولـيس الـذئـبُ يـأكُـلُ لـحـمَ ذئـبٍ

ويـأكـلُ بـعـضُـنَـا بـعـضـاً عـيـانـا

وللناس أعين

إذا رُمْتَ أنْ تحيا سليماً مِنَ الرَّدَى

وَدينُك موفورٌ وعرضُك صَيِّنُ

فلا يَنْطِقَنْ مِنْكَ اللسان بسوأةٍ

فكلّكَ سَوءَاتٌ وللناسُ ألسنُ

وعيناكَ إنْ أبدتْ إِليكَ مَعَائِباً

فدعْها، وقلْ: يا عينُ للناسِ أعينُ

سفينة الأعمال

إنَّ لـلَّـهِ عِـبَـاداً فُـطَـنَـا

تركوا الدُّنيا وخَافُوا الفِتَنَا

نَظَروا فيها فلمَّا علمُوا

أنَّها لَيْسَتْ لحيٍّ وَطَنَا

جَعلوها لجةً واتَّخَذُوا

صَالحَ الأعمالِ فيها سُفُنَا

ترك الهموم

سَهرتْ أعْينٌ ونامتْ عيونُ

في أمورٍ تكونُ أوْ لا تكونُ

فادرإِ الهمَّ ما استطعتَ عن النَّفْـ

ـسِ فحملانُكَ الهمومَ جنونُ

إن رّباً كفاكَ بالأمسِ ما كا

نَ سيكفيكَ في غدٍ ما يكونُ

عين الرضا

وعَيْنُ الرِّضَا عنْ كلِّ عَيْبٍ كليلةٌ
ولكنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المسَاوِيا
ولستْ بهيَّابٍ لمنْ لا يَهابُني
ولستْ أرىٰ للمرءِ ما لا يرىٰ لِيَا
فإنْ تدنُ منِّي، تدنُ منكَ مَوَدَّتي
وإنْ تنأَ عنِّي، تَلقَنِي عنكَ نَائِيَا
كلانا غنيٌّ عنْ أخِيه حَيَاتَهُ
ونحنُ إذا مِتْنَا أشدُّ تَغَانِيَا

العلم الحق

كلُّ العلوم سوى القرآن مشغلةُ
إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدين
العلمُ ما كان فيه: قالَ، حدثنا
وما سوى ذاكُ وسواسُ الشياطينِ

على أبواب الآخرة

دخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه، فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

فقال:

أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله تعالى وارداً[(١)].

ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها.

ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ـ ربي ـ كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منَّة وتكرّما

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٧١.

مِنَ المـرَاجِعْ

١ ـ حلية الأولياء، للحافظ الأصبهاني. دار الكتب العلمية.
٢ ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية.
٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير.
٤ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي.
٥ ـ الطبقات الكبرى للشعراني.
٦ ـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالي. طبعة دار الخير.
٧ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي.
٨ ـ رسالة المسترشدين للمحاسبي تحقيق أبي غدة.
٩ ـ الزهد الكبير للبيهقي. مؤسسة الكتب الثقافية.
١٠ ـ صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبي غدة.
١١ ـ الاستقامة لابن تيمية. تحقيق محمد رشاد سالم.
١٢ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، دار الفكر.
١٣ ـ مناقب الإمام الشافعي، لابن كثير. تحقيق خليل ملا خاطر.
١٤ ـ آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي. مكتبة الخانجي.
١٥ ـ الإمام الشافعي لعبد الغني الدقر. دار القلم بدمشق.
١٦ ـ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى. دار المعرفة.
١٧ ـ ديوان الإمام الشافعي. جمعه محمد عفيف الزعبي. مكتبة المعرفة.
١٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. دار الكتب العلمية.

المحتوى